منهج الحداثيين العرب في التعامل مع القرآن الكريم: المنهج التشكيكي عند محمد أركون أنموذجا "دراسة نقدية"

د. سناء الغزاوي*

تاريخ وصول البحث: 2020/3/8م **تاريخ قبول البحث: 2020/12/23م**

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع الحداثة من حيث التعريف والنشأة، ثم عرضت الدراسة للمشروع الحداثي العربي مبينة أهدافه وخصائصه وأهم رواده، وعمدت إلى قطب من أقطاب الحداثة العربية وهو محمد أركون في دراسة تطبيقية لمنهجه التشكيكي في دراسة القرآن الكريم، متبعة في سبيل ذلك المنهجين الاستقرائي والتحليلي النقدي. وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: أن من أهم سمات القراءة الحداثية للنص القرآني رفع القداسة عن النصوص الشرعية، ومحاولة إعادة صياغة الرؤية لهذه النصوص، بوضعها في مصاف النصوص البشرية، وذلك من خلال عدة ممارسات ستكشف عنها هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الحداثيون، المشروع الحداثي، محمد أركون.

The Arab modernists approach in dealing with the Holy Quran: The skeptical approach of Muhammad Arkoun as a model – a Critical study-

Abstract

This study deals with modernity in terms of definition and creation, then presents the Arab modernist project outlining its objectives and its pioneers. Then it's focuses on the work of the most important pole of modernity, namely Muhammed Arkoun. In a practical study of his method in dealing with the verses of the Holy Quran by study and research, following that purpose the researcher used Inductive and analytical approaches. The study came up with number of conclusions, including: the most important features of modernist to the Qur'anic readings is lifting the holiness from the Islamic texts, and attempting to reformulate the visions of these texts, by placing them among human texts, through several practices, these practices will be revealed in this study.

Keywords: Modernity, Modernists, Modernist Project, Mohammed Arkoun.

* باحثة – وزارة التربية والتعليم.
sanaalgzawi@yahoo.com

المقدمة.

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما أمر، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ البشر وعلى آله وصحبه ومَن اقتفى الأثر، أمّا بعد: فلمّا كان الإسلامُ هو النعمةُ الكبرى التي امتنّ اللهُ بها على عباده، فأخرجهم به من ظلماتِ الكفر إلى نور الإيمان، وعاش المسلمون

في ظلالِهِ الوارفةِ، يتفيّؤون ظلاله ويستقون من معين كتابه وهدي نبيّه -عليه الصلاةُ والسلام-، بيدأن هذا الجو الرغيد قد كدّر صفوه أصواتٌ تنعق بالخرابِ ترمي هذا الدين العظيمِ بما ليس فيه، برز منهم في العصر الحديث مَن يُسّمون أنفسهم بالحداثيين وسمّوا مذهبهم "الحداثة"، فعلى صوتُهم وانتشرت دعوتُهم، فكان لي وقفةٌ معهم في هذا البحثِ أعرضُ لمنهجهم وأُبيّن مقصدهم.

مشكلة الدراسة، وأسئلتها.

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس المتعلق بمنهج محمد أركون التشكيكي في دراسته للنص القرآني، كإنموذج لمنهج الحداثيين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم، وما الجديد الذي أضافه لميدان الدراسات القرآنية الحداثية؟

ومن خلال هذا التساؤل برز عدد من الأسئلة الفرعية التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، وهي كالآتي:

1. ما المقصود بالحداثة؟ ومن هم الحداثيون العرب؟
2. كيف نشأت الحداثة؟ وما أهدافها وخصائصها؟ وما الفرق بينها وبين العلمانية والتغريب؟
3. ما منهج الحداثيين العرب في دراسة القرآن الكريم؟ وكيف طبق محمد أركون المنهج التشكيكي في دراسته للنص القرآني؟

أهداف الدراسة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بمفهوم الحداثة وبيان نشأتها وأهدافها.
2. الكشف عن المنهج الذي اتبعه الحداثيون في تعاملهم مع النص القرآني.
3. تجلية منهج محمد أركون التشكيكي في تعامله مع النص القرآني والرد عليه.

منهجية الدراسة.

لقد سلكتُ في هذا البحثِ المنهجَ الاستقرائي في تتبعِ نشأةِ الحداثةِ وأفكارها ومنهجها في التعامل مع القرآن الكريم، والتحليلي في تحليل مواقفهم، وربط أفكارهم بأصولها وجذورها. ثم اعتمدت في دراستي التطبيقية على المنهج التحليلي النقدي في إثبات منهجية محمد أركون التشكيكية في كتاباته حول القرآن الكريم والرد عليه مبينة عوار منهجه.

الدراسات السابقة.

كثُرت الكتاباتُ عن الحداثيينَ وأعلامهم، وممّا تسنّى لي الاطّلاع عليه:

1) رسالة دكتوراه بعنوان، الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني (عرض ونقد)، إعداد الطالب: بسام عبيدات، بإشراف الدكتور شحادة العمري، من جامعة اليرموك، 2010م. ولعل هذه الدراسة قد تخصصت في الحديث عن

موقف الحداثيين العرب من القصص القرآني، بينما ستكون هذه الدراسة أكثر شمولية من حيث تناولها موقف الحداثيين من النص القرآني عامة، ثم قيامها بتطبيق هذا المنهج على قطب من أقطاب الحداثة المعاصرة ألا وهو محمد أركون.

2) كتاب العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، أحمد إدريس الطعان، أصل الكتاب أطروحة دكتوراه، ناقش فيه الباحث بعمق وتفصيل شبهات العلمانيين بخاصة (محمد أركون)، وسعى إلى البحث عن القواعد التي يبني عليها الخطاب العلماني رؤاه وأطروحاته عندما يتعامل مع القرآن الكريم أو مع الإسلام عموما.

3) أطروحة دكتوراه بعنوان موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم وإعجازه، زكي مصطفى البشايرة، جامعة اليرموك (2008)، احتوت الرسالة على ستة فصول بحثية.

4) الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن دراسة ونقد، أحمد محمد الفاضل، (2008)، وهو كتاب يحتوي على مقدمة وباب تمهيدي وثلاثة أبواب بحثية وخاتمة.

خطة الدراسة.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمةٍ وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحداثةُ بين المفهومِ والنشأة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحداثةِ لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: العلاقة بين الحداثة والعلمانية والتغريب.

المطلب الثالث: نشأة الحداثةِ.

المبحث الثاني: الحداثيون العرب، والمشروع الحداثي العربي أهدافه وخصائصه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالحداثيين العرب.

المطلب الثاني: المشروع الحداثي العربي، أهدافه وخصائصه.

المبحث الثالث: منهج الحداثيين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم، دراسة تطبيقية لمنهج ـمحمد أركونـ التشكيكي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الحداثيين العرب في تعاملهم مع القرآن الكريم.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لمنهج محمد أركون التشكيكي في تعامله مع القرآن الكريم.

وختمت الدراسة بوضع أهم النتائج والتوصيات، راجية من الله تعالى التوفيق والقبول.

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول:
الحداثة بين المفهومِ والنشأة.

المطلب الأول: تعريف الحداثة لغة واصطلاحا.

أولا: الحداثةُ لغةً.

أصـــلها من حَدَث، والحديثُ نقيضُ القديم، وحَدَثَ أمْرٌ أي وقعَ، ومحدثاتُ الأمور ما ابتدعهُ أهل الأهواءِ من الأشـــياء التي كان السـلفُ الصـــالحُ على غيرها، ومما جاء في الأحاديث على هذا المعنى (كُلّ مُحدَثةٍ بدعةٌ وكُلُّ بِدعةٍ ضـــلالةٌ)[1]، وفي حديث المدينة (مَن أحدث فيها حَدَثاً أو آوى مُحدثاً)[2]. والمُحْدَثُ: الأمْر المُبْتَدَعُ نفسه، وفي حديث عائشة -رضي الله عنها-: (لولا حِدْثَانُ قومكِ بالكفرِ لَهَدمتُ الكعبةَ وبَنَيتُها)[3]، والمراد: قربُ عهدهم بالكفرِ، وأنه لم يتمكن الدينُ من قلوبهم. والحديثُ: الخبرُ يأتي على القليل والكثير والجمعُ أحاديث، قال تعالى: **[إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا]**[الكهف: 6]، عنى بالحديث هنا القرآن، والحديثُ أيضاً: ما يُحدّثُ به المحدِّث، قال تعالى: **[وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]**[الضحى: 11]، أي بلّغ ما أُرسلتَ به[4].

ثانياً: مفهومُ الحداثةِ اصطلاحاً.

الحداثة في أصـــلها مصـــطلحٌ مترجمٌ عن اللغةِ الإنجليزية، فهو دخيلٌ على مجتمعنا الإســـلامي، حيثُ ترجمت عن (Modernism)، وتعني العصرنة أو نزعة لاهوتية تحرّرية، أو التجديد[5].

وجاء في إحدى موسوعات الغرب المشهورة: (الحداثةُ لفظٌ مستعملٌ بكثرة منذُ القرنِ العاشر في المساجلاتِ الفلسفيةِ أو الدينيةِ، ويُســـتعملُ بمعنى انفتاح وحرية فكرية ومعرفة أحداث الوقائعِ المكتشـــفة، وحب التغيير لأجل التغيير، بلا حكمٍ على الماضي وبلا تفكُّرٍ فيه)[6].

وتعرّف الحداثة بأنها مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية...وغيرها[7].

فالحداثة إذاً مذهب فكري جديد يحملُ جذوره وأصوله من الغرب، بعيداً عن حياة المسلمين وعن حقيقة دينهم، يدعو إلى تغيير واقع الحياةِ ليتوافقَ مع ما يطرحهُ ذلك الفكرُ من نظراتٍ خاصـــة للإنســـانِ والحياة، والثورة على كل موروث ســـواء كان ديني أو تاريخي، ودراسته من جديد بعيداً عن القداسة، وذلك بتطبيق مناهج الغرب العلمانية على النصوص الدينية[8].

المطلب الثاني: العلاقة بين الحداثة والعلمانية والتغريب.

ظهرت على الساحة الفكرية مصطلحات تلتقي مع الحداثة في كثير من أصولها ومبادئها ومراميها، وبعد البحث والتدقيق تبين أنها من عائلة واحدة وإن اختلفت مســـمياتها، فمن خلال التعريف الســـابق للحداثة تبين أنها مذهب فكري علماني، قائم في أصله على التغريب والنظرة الغربية للحياة والإنسان، وحتى يتبين لنا العلاقة بشكل أدق سنتعرف على مفهوم كل من العلمانية والتغريب ومبادئهما وعلاقتهما بالحداثة.

أولاً: العلمانية: هي إقامة الحياة بعيدا عن الدين أو الفصل الكامل بين الدين والحياة، وجاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، وأولى الترجمات بها في العربية أن نسميها اللادينية[9].

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقائه حبيسا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصـة بينه وبين ربه. تتفق العلمانية مع الديانة النصـرانية في فصـل الدين عن الدنيا حيث لقيصـر سـلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة، أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله، قال تعالى: **[قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]**[الأنعام: 162].

ومن أشـــهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإســـلامي: أحمد لطفي السـيد، قاسـم أمين، وطه حسـين. ومن معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي: الطعن في حقيقة القرآن والإسلام والنبوة، الزعم بأن الاسلام عبارة عن طقوس وشعائر روحية، الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف، الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي، اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها، وتربية الأجيال تربية لادينية[10].

ثانياً: التغريب: هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. ومن أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي: جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، الذي انضم إلى مدرسة محمد عبده الداعية إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل؛ بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب، كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه، ومن دعاتها أيضا قاسم أمين الذي قاد مشروع تحرير المرأة، وأحمد لطفي السيد، وطه حسين، -

نجدهم أيضا من دعاة العلمانية- والشيخ أمين الخولي أيضا من رواد هذا الفكر، حيث كان يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة فنية بغض النظر عن مكانته الدينية[11].

من خلال هذا العرض الموجز عن هذه المذاهب الفكرية يتبين صحة ما تم تقريره من التقاء الحداثة مع كل من العلمانية والتغريب في الأفكار والجذور، بل في الدعاة إليها من المفكرين نجدهم أنفسهم أينما حللنا، فهم وجوه متعددة لعملة واحدة.

المطلب الثالث: نشأة الحداثة.

يكاد يُجمعُ الكاتبون في هذا المضمارِ على أنّ بدايةَ الحداثةِ كانت عند الغربِ، حيثُ ترعرعت في مهد بيئتهم وَرَضعت لبان معتقداتهم، وشكّلت مرحلةً حاسمةً من مراحلِ الفكرِ الغربيّ، الذي ثار بدوره على تقاليد الماضي البئيس مُمثّلاً بالكنيسةِ، فجدّت بالدعوةِ إلى الغاءِ مصادرِ الدينِ، وتقويضِ كل ما يدعو إليه من القيمِ الدينيةِ والأخلاقيةِ والإنسانيةِ، فهي ضاربةٌ في القِدَم لم تَعُدْ تُجدي في تلبية متطلباتِ العصرِ المنادي بالتحررِ من كُلّ القيودِ. بيد أنّ هذه الحداثةِ المزعومةِ والمُنتَظَرةِ ما هي الّا عِقدٌ انتظم في ثناياهُ مذاهبُ غايةٌ في الخطورةِ والإلحادِ، فهي كما يطلق عليها الدكتور المسيري أنّها متتالية المفهومِ[12]. ومعنى ذلك أنّها لم توجد مرّةً واحدةً، وإنما كانت خلاصةً تطوريةً لبعضِ الحركاتِ والمذاهبِ من أمثال الوجودية والسريالية[13].

ثم تسلّلت الحداثةُ الغربيةُ إلى أدبنا ولغتنا العربية ومعتقداتنا فأصبحت أمراً واقعاً لا محالة ولا مفرّ منه، وتعدّدت أزياؤها ما بين الوطنية والتقدمية، وتَزَيّنت بزخرف الحرية والعدالة، وصُبِغتْ بأصباغِ الفكرِ والفلسفةِ والسياسةِ والاقتصادِ والتربيةِ والاجتماع[14].

وما يهمنا هنا بدايةً الحداثة ذات العلاقة بالإسلام، فقد بدأت مع بدء ما يسمى بحركة النهضة العربية الإسلامية خلال القرن التاسع عشر ممثلة برفاعة الطهطاوي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده، فانطلق مشروع الإصلاح الديني في الفكر المعاصر وقدم محمد عبده مشروعه الإصلاحي الذي كان يسعى إلى تكييف المجتمع الاسلامي ومبادئ العقيدة مع مقتضيات الأزمنة الحديثة ومتطلباتها في روحه العامة، وبرز في هذا التوجه الإصلاحي الجديد مشروع نقد العقل العربي الإسلامي الذي بلورته أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون، وامتدت هذه الحركة حتى الوقت الحاضر بعد أن مرت بها عدة أسماء كان لها دور بالغ في الدعوة إلى التغريب، منهم طه حسين والطيب التيزيني وحسن حنفي ومحمد عابد الجابري ومحمد أركون وهشام جعيط[15].

المبحث الثاني:
الحداثيون العرب والمشروع الحداثي أهدافه وخصائصه.

المطلب الأول: التعريف بالحداثيين العرب.

هم طائفةٌ من الكُتّاب والمثقفينَ العرب الذين لم يتخصصوا في العلوم الشرعية، وإن كان لهم نصيبٌ منها فإنهم لم يتلقّوا هذا الحظ من علماءِ الأمة، وإنما تتلمذوا على أيدي المستشرقين ومن قبلهم أسلافهم من الفلاسفة العرب، الذين تنكّروا لدينهم ومبادئه وأفكارهِ، فكان لهم صولات وجولات جدلية مثيرة للشبهاتِ، مشكّكة في الثوابت، التي هي عند علماء الأمةِ من المسلّمات، فكان لهم جِدالٌ في ربانية مصدر القرآن، وأسباب النزولِ والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم الشرعية والمسائل المعروفة عند العلماء والتي لا يُفتتن بها إلّا العامة.

ومن أبرز الحداثيين الذين تعاملوا مباشرةً مع الآياتِ القرآنيةِ: محمد أركون، محمد شحرور، نصر حامد أبو زيد، حسن حنفي، طيّب تيزيني، محمد الجابري، عبد المجيد الشرفي، هشام جعيط، عادل ظاهر، هاشم صالح، عزيز العظمة، وغيرهم.

ومن أشهر مصنفات الحداثيين في دراسة النص القرآني دراسة حداثية: الطيب تيزيني في كتابه "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة"، عابد الجابري في كتابه "التراث والحداثة"، محمد أركون في "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، علي حرب في كتابيه "نقد النص" و"نقد الحقيقة"، نصر حامد أبو زيد في "الخطاب

والتأويل" و"مفهوم النص"، أدونيس "الثابت والمتحول"، محمد أحمد خلف الله في كتابه "الفن القصصي في القرآن"، محمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن قراءة معاصرة"، حسن حنفي "دراسات إسلامية" و"مفهوم النص".

المطلب الثاني: المشروع الحداثي العربي أهدافه وخصائصه.

أولاً: أهداف المشروع الحداثي العربي.

يهدف المشروع الحداثي العربي فيما يتعلق بالنص الشرعي إلى تأويل النص بطريقة مستحدثة تلغي فيها نظرة القداسة له، وتجعله في مصاف النصوص الأدبية التراثية سواءً بسواء، وتدعو إلى ترسيخ القول بأن النص الشرعي لم يعُد منتمياً إلى مصدره الإلهي. وتهدف الحداثة أيضا إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة، لتبني الحياة على الإباحية والفوضى، وذلك باسم الحرية والحداثة. وسعت الحركة الحداثية إلى التصدي للأفكار القديمة، وتحطيم الموروث وتدمير صورته، وبذا تحول الحداثيون العرب إلى أداة لحماية الأفكار الغربية وتقويض البنى الفكرية والدينية الإسلامية[16]. يقول علي أحمد سعيد الملقب بأدونيس في كتابه الثابت والمتحول: (لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي والتخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي)[17].

والواقعُ خيرُ شاهدٍ على أهدافِ الحداثةِ، حيث نادى زعماؤها بمحافلَ عدةٍ بضرورة السعي لتحقيق أهدافٍ ثلاثة هي[18]:

أولاً: ضرورةُ إسقاطِ العملِ ببعضِ النصوصِ القرآنيةِ، ولا حاجة للممارسةِ العلميةِ لمعرفةِ المحكمِ منها والمنسوخ، حيث إنها ارتبطت بأحوالٍ وظروفٍ معينةٍ سجّلتها وقائعٌ تاريخيةٌ كانت تصُبُّ في رحالها، وبزوالِ حالِها انتفت الحاجة لتلك الآياتِ وأصبحت من الماضي.

ثانياً: نصوصُ الأحكامِ لم تغدُ إلاّ توصيات وعظية لا قوانين وضعية تُلائم احتياجاتِ المجتمعِ، فهناك كثيرٌ من القوانينِ التشريعيةِ التي تَعْرُضُ لها التعديلاتُ بين الأيامِ طباقاً للمصالح الانتفاعيةِ.

ثالثاً: تجميدُ النصِّ القرآني على الجانب المعنوي والأخلاقي، وهو كتابُ توجيهٍ وهدايةٍ، ودليلُهم أنّ معظم الآيات التي افتتح القرآنُ بها كانت "يا أيها الذين آمنو" وختامها "إن كنتم مؤمنين" أو "صادقين"، والتأكيد على الجزاءِ الأُخروي.

وتتلخص أفكار الحداثة ومعتقداتها في: رفض مصادر الدين الكتاب والسنة والإجماع، الدعوة إلى نقض النصوص الشرعية، المناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية، الدعوة إلى فلسفات حديثة على أنقاض الدين، اللغة في رأيهم قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي لذا يجب أن تموت، وتدعو إلى إحياء الوثنيات والأساطير[19].

ثانياً: خصائص المشروع الحداثي العربي.

للحداثة خصائص عرفت بها وقامت على أساسها، وهي محاربة الدين، الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي إلا الحركات الشعوبية والباطنية. الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة، الدعوة إلى تحرير المرأة من أحكام الشريعة، القدح في التراث الإسلامي وإبراز للشخصيات التي عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي وغيرهم. ويتضح مما سبق أن الحداثة تصور إلحادي جديد للكون والإنسان والحياة، وليست تجديدا وأقوال سدنة الحداثة تكشف عن انحرافهم[20].

ومن أهم سمات القراءة الحَدَاثية للنص القرآني:

أولاً: رفعُ القداسةِ عن النصوصِ الشرعيةِ، ومحاولة إعادة صياغة الرؤية لهذه النصوص، بوضعها في مصافّ النصوص البشرية، وتمثّل هذا من خلال الدعوة إلى عِدّة ممارساتٍ منها:

1. حذفُ عبارات التعظيم والتقديس لهذه النصوص وقائليها.
2. إعمالُ العقل في النصوص، وإطلاقُ العنانِ له من غير رقابةٍ ولا حساب، وتمثّل هذا في ردّ النصوص والأقوال التي لا تتوافق مع العقل، وتقديم رأي البشر على كلام رب البشر، بدعوى أنّ القرآن وليدُ البيئةِ، وأنّ النّصَ يخضعُ لاحتياجاتِ البشر.

3. استبدالُ الألفاظ الشرعية بأخرى معاصرة بُغية تغيير المفاهيم، كالإشارةِ إلى القرآن الكريم بـــ (المدونة الكبرى) و(الخطاب الديني) أو النبوي، واستخدام مصطلح (العبارة) في الإشارة إلى الآية.

ثانياً: إعلانهم الحربَ على الإسلام والأصالةِ، وإغفالهم لعناصر التميّز التي كرّم الله تعالى بها الأمة، مما يؤكد ذلك خلو إنتاجهم الفكري من أي إشارةٍ لمصادر التشريع وسيرة السلف الصالح إلّا ما كان على سبيل الطعن والغمز، مُكتفين برموز الوثنيةِ والإلحادِ القديمة والمعاصرة[21].

المبحث الثالث:
منهج الحداثيين العرب في تعاملهم مع النص القرآني،
دراسة تطبيقية لمنهج -محمد أركون- التشكيكي في تعامله مع النص القرآني.

المطلب الأول: منهجُ الحداثيينَ العرب في تعاملهم مع النص القرآني.

قام الفكر الحداثِيُّ على مستويين من المنهجيةِ بهدف تفكيكِ النصِّ الشرعي وهما:

المستوى الأول: ويقومُ على تسليطِ الرؤيةِ التاريخيةِ على النصِ في نظريةِ (تاريخيةِ النصِ)، لإنزاله من مجال الإلهي إلى أنسنتهِ -مشروع أركون-.

المستوى الثاني: إخضاعُ النصِّ للدراسةِ النقديةِ التداوليةِ في المجالِ اللساني، وتطبيق نظرياتِ القراءةِ التأويلية المعاصرة على النص الديني لإعادة قراءته وتأويله، ويعُدّ أبو القاسم حاج والجابري من روّاد هذه المشاريع الحداثية[22].

سلك الحداثيون مناهجَ عديدة لتحقيق مآربهم في دراسة القرآن الكريم دراسة حداثية، واتسمت هذه المناهج بعدة سمات تمثلت فيما يأتي[23]:

1) التعّرضُ للقرآنِ الكريمِ والخوضُ في تأويله من غير تحصيلِ العلومِ والأدواتِ التفسيريةِ المعروفةِ عندَ أهلِ الاختصاصِ، فجُلُّهم غيرُ متخصّصٍ في العلومِ الشرعيةِ والقرآنيةِ خاصة[24].

الرد والمناقشة: لتدبر القرآن الكريم ضوابط وشروط ينبغي أن تتوافر فيمن يتعرض لكلام الله بالتفسير، وهي:

العلم بمقاصد الشريعة. العلم باللغة العربية وعلومها كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها. العلم بالقراءات القرآنية. العلم بأصول الدين (علم التوحيد والعقيدة). العلم بأصول الفقه. المعرفة بعلم الحديث رواية ودراية. المعرفة بعلوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمكي والمدني وغيرها. وسلامة العقيدة والتجرد عن الهوى[25].

وبنظرة تأملية في هؤلاء الحداثيين الذين تعرضوا للنص القرآني بالتأويل، وبمحاولة إسقاط شروط المفسر والمتدبر لكتاب الله عليهم يتبين لنا أنهم لا يملكون أدوات النظر في تفسير كتاب الله، ولا يحققون الضوابط المنصوص عليها من علماء الأمة، فأنى لأمثال هؤلاء أن يؤتمنوا على النظر في كلام رب العباد.

2) التقليد عند الحداثيين: منهجهم قائمٌ على التقليدِ الحداثوي الغربي، وإسقاطِ الفلسفاتِ الغربيةِ على النص القرآني، الداعية إلى المماثلةِ اللغويةِ بين النصّ القرآني والنصوص البشرية، قاصداً صرف قدسيته بدعاوى لا تخضع لمنهجية علمية[26].

ومن الشواهد الدالة على تقليدهم للمستشرقين في دراساتهم القرآنية موقفهم من الوحي، فقد نفوا الوحي وأنكروا أصل وجوده، فالنص عبارة عن إبداعات عقلية وموهبة فكرية أنجبت هذه الخطابات التي تتّسمُ بالقداسةِ، فما القرآنُ بأفضل من التوراةِ والإنجيلِ، وهم بهذا يستعيدون قراءة الفلاسفة الإسلاميين فالمنطق واحد، مع اختلافٍ في الأدواتِ والمفاهيم وكذا موقفهم من النبوة، وأوصلهم هذا الفِكر المنحرف إلى الاهتمام بالأساطير والخرافاتِ[27].

3) اعتمادُ منهجهم على العقلِ في التعاملِ مع النصوصِ القرآنيةِ، بل يعتمدونَ الرأيَ المجرد عن الدليل حتى في القضايا التي وردت فيها نصوص قطعية الدلالة، فيُخضعِون النصَ القرآني لمقاضاةِ العقل البشري بعد تجريده من قداستهِ.

4) موقفهم من السنة النبوية: يستبعدونَ السَّنةِ تماماً في التفسير، ولا يلتفتون إلى الآثار الواردةِ في التفسير، ولا يعيرونها اهتماماً[28].

الرد والمناقشة: وهذا خلل منهجي بين، فلا عجب فيما وصلوا إليه من شطط في دراستهم للنص القرآني بعيدا عن مقررات السنة النبوية الصحيحة، فالناظر في كتاب الله لا يستغني عن معرفة وإلمام بالسنة النبوية التي تعتبر شارحة ومبينة ومفصلة لكتاب رب العالمين.

5) لا يوجد لهم منهج علمي محدد في التعامل مع النص القرآني، بل يتبنّون مناهج عِدّة ومتناقضة فيتسّمون باللامنهج، أو كما يسميها أركون في أبحاثه بالمنهج المتعدد الاختصاصاتِ[29].

الرد والمناقشة: وهنا للأسف يتم استخدام مناهج عديدة ذات اختصاصات بعيدة كل البعد عن التخصصية في دراسة النص القرآني، مما جعل الفوضوية العلمية متاحة بشكل واسع، والقول بغير علم جعل هؤلاء يهرفون بما لا يعرفون.

6) التجديدُ الجذري في تفسير القرآن لمواكبة متطلباتِ العصر، فلم تَعُدْ التفاسيرُ القديمةَ قادرةً على تلبيةِ تطلعّاتِ العربِ في عصرِ الحداثةِ، وأن يخضعَ فنُّ التفسير للمنهجِ العلمي النقدي والتاريخي غير التبريري، ثم تُقبَل نتائجُ التفسير ويوظفها حسب موافقتها للعقليةِ الحديثةِ بعيداً عن التشبّثِ بحرفيته[30].

وينقل أركون عن أبي القاسم حاج قوله في كتابه جدلية الغيب: (إنّ علاقتنا بالقرآن منهجية ومعرفية، بحيث لا نتعاطى مع موضوعاته بمنطق العقل التفسيري التراثي أو اللاهوتي، فهذه المناهج اتخذت منه كتابَ عباداتٍ ومعاملاتٍ وعظاتٍ، وأمّا بُغيتنا الأساسية فهي منهجية، فنحن لا نُنْزل النَّصِ على الواقعِ كما يفعلون، وإنما نرتفع بالواقعِ إلى النَّصِ، فلا نلجأُ لا للتأويلِ ولا التفسير)[31].

رد ومناقشة: فهم هؤلاء الحداثيين التجديد بأنه الخروج عن المعتقدات والأصول الدينية، متمثلة بالكتاب والسنة، في محاولة لمجاراة الغرب العلماني الكافر، مع البون الشاسع بين الأصول الدينية في الغرب التي تعرضت للتحريف والتغيير فكانت غير مقنعة للعقول العاقلة[32]. مما حداهم للخروج عليها، والأصول الدينية الإسلامية التي حفت بالعناية الإلهية أولا، ومرت بتاريخ من العناية البشرية والنقل الدقيق الموثق لم يتسن لغيره من المصادر الدينية حتى عُدت مضربا للمثل في الوثوق والمصداقية من العدو قبل الصديق.

7) المنهج التشكيكِي وإثارة الشبهاتِ حول النص القرآني والطعن بمصدره، لإثبات بشرية القرآن ورفع القداسة عنه[33].

الرد والمناقشة: فهم ينبشون القبور لإثارة ما فيها من عَفَنٍ ونتن، وكلّ شبهاتهم قال بها أسلافهم من قدماءِ الملاحدة والزنادقة العرب، فضلاً عن أساتذتهم من المستشرقين.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لمنهج -محمد أركون- التشكيكي في تعامله مع النص القرآني.

سعى أركون من خلال مؤلفاته المتعلقة بالقرآن الكريم إلى طرح رؤى جديدة تتوافق وروح العصر الغربي الذي ارتوى له عشقا، وذلك من خلال محاولاته في تجديد الفكر الإسلامي والخطاب الديني، فسادت الروح التجديدية مؤلفاته، وطغت عليها النزعة التشكيكية في كل ما هو موروث وأصل من أصول الدين، وللتدليل على هذا الكلام أعرض هنا لنماذج من منهجه التشكيكي الذي ساد على دراساته القرآنية، وأعقبه بالرد والمناقشة:

<u>أولاً: منهجه التشكيكي في أركان العقيدة الإسلامية.</u>

لقد صوب أركون سهامه صوب العقيدة الإسلامية، رغبة منه أن يصيب بذلك مقتلا، فإذا تم له ذلك فما بعده أهون منه، وأذكر هنا نموذجين لما شكك به أركون من أركان العقيدة الإسلامية:

- لقد شكك في أهم أركان العقيدة الإسلامية وزعزع الثقة بها من خلال لمزه وطعنه بوجود الله Y، معلناً أن فكرة وجود الله ابتداءً هي نوعٌ من الأساطير، حيث يقول: (إنّ تأكيد وجود حقيقة متعالية قادرة دوماً -إذا عرف الناس فهم لغزها وعيشها- على إعادة مسيرة التاريخ في الدرب الصحيح، هذا التأكيد هو الأسطورة الأكثر رسوخاً، والأكثر نجوعاً، والذي أتاح بالفعلِ للضمير المسلم أن يتجاوز جميع الأزماتِ بدءاً منها[34].
- ويهاجم أركون ركنا آخر من أركان العقيدة الإسلامية ألا وهو ركن الإيمان بالكتب السماوية، فيّدعي أنّ الفكرَ الحديثَ قد قضى علمياً على إشكالية "الكتاب السماوي أو العلوي أو الإلهي" مع النَظرةِ إلى العالم والممارسات الشعائرية، والأخلاقيةِ، والسياسة التي تنطوي عليها، ولكنّ هذا الفكر لم يقم حتى الآن بتقييم الوظيفةِ النفسانيةِ –الاجتماعية- الثقافية التي تلعبها هذه الإشكالية في مجتمعاتِ "الكتاب المقدس"[35].

الرد والمناقشة:

ما كان لأركون أن يتجرأ على الله Y لولا المنهج العقلاني الذي ارتضاه لنفسه، هذا المنهج الذي لا يحتكم إلا إلى العقول القاصرة فيجعلها حاكمة على كل شيء حتى على المسلّمات وما هو معلوم من الدين بالضرورة، وأصحاب هذا المنهج يتخذون من التشكيك ذريعة للبحث والخوض غالبا فيما لا يعود بالنفع على الجنس البشري، فنجده هنا يطعن في حقيقة وجود الخالق Y هذه الحقيقة التي فطر الله الخلق عليها، ولا ينكر وجود الخالق إلا ملحد قد خرج عن حدود فطرته وشذ عنها، قال تعالى: **[فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]**[الروم: 30].

أما عن ركن الإيمان بالكتب السماوية فنجد أن لدى أركون إشكالية في مسمى الكتب السماوية أو الالهية أو العلوية، فمجرد تسمية هذه الكتب بمسميات تضفي عليها هالة من القداسة يتولد لدى أركون حساسية فكرية تجعله يضطرب تارة بمصطلحات خاصة به توحي بما في نفسه من هواجس، يلقيها بلمز وغموض تقية أحيانا، وبسوء نية أحيانا أخرى ليدس السم في الدسم لقرائه من أبناء المسلمين. ثم ليس من الإنصاف والموضوعية أن يتحدث بعموم عن الكتب السماوية المتمثلة بالتوراة والإنجيل جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم، ولا يخفى أن للقرآن الكريم خصوصية تمثلت في توثيق نصوصه وصحة نسبتها إلى الله Y، في حين انتفت نسبة الكتاب المقدس إلى الله Y بشهادة الدراسات الموثوقة ومناهج النقد الحديثة.

وأنى لعقل بشري ناقص خاصة إذا كان كعقل أركون - أن يهتدي وينطلق في الآفاق بعيدا عن هداية الوحي وإرشاداته، فقد ضل في متاهات العقل من هم أوسع علما وأكثر نضجا من الحداثيين، حتى كانت نهاية حالهم الندم على ضياع الأوقات، وتمني الرجوع إلى الهداية الإلهية المتمثلة بنصوص الوحيين، بعيدا عن انشقاقات النفس ومتاهات العقل[36].

ثانياً: منهجه التشكيكي بجمع القرآن الكريم وقداسته.

سلك أركون مسالك عدة لإثارة الشبهات والشكوك حول قداسة القرآن الكريم وصحته بوصفه كتابا إلهيا، وذلك من خلال عدة طروحات خطيرة منها:

– تاريخية النص القرآني: ينظر أركون إلى القرآن الكريم بوصفه نصا تاريخيا ومن التراث، وهذا يستلزم قراءته قراءة نقدية، وتطبيق مناهج النقد الحديثة عليه -النقد التاريخي والتفكيكي الألسني-، التي تم تطبيقها على الكتاب المقدس بعهديه[37]، يقول أركون: (لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموما بالقرآن، إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي، والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي، فهي تحتاج إلى تفكيك سابق، من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طمست وكتبت ونسيت من قبل التراث التقوي الورع، كما من قبل المنهجية الفيلولوجية النهائية أو المعرفة في التزامها بحرفية النص)[38].

ثم إنه يُشّبه هذا العمل الضخم المنوي القيام به بصدد النص القرآني بما حدث للأناجيل والتوراة، وبهذا تتبلور فكرة أنسنة النص القرآني لدى أركون لنزع القداسة عن النص القرآني، الذي أثقل كاهله وقضّ مضاجع الحداثيين منذ قرون.

– أماعن إثارته للشبهات والشكوك حول صحة جمع القرآن الكريم، فنجده يقترح حلّاً لهذه المشكلة حسب ظنه - بالمراجعةِ النقديةِ للنص القرآني، ويتطلب هذا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية المتاحة في سبيل ذلك بغض الطرف عن مصدرها، وهكذا يتأكد من صحة الوثائق المستخدمة، ويسعى لإثبات مشروعه التشكيكي عن طريق البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود، كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً، ويفيده أيضاً في مشروعه هذا سبر مكتبات الدروز في سوريا والإسماعيلية في الهند والزيدية في اليمن والعلوية في المغرب، حيث يوجد في هذه المكتبات وثائق نائمة، مقفل عليها بالرتاج، والشيء الوحيد الذي يُعزّيه في عدم إمكانية الوصول إليها معرفته بأنها محروسة جيداً[39].

لقد أسهم أركون في إحياء الأفكار الموات والتي نادت بها فرق الإلحاد والزندقة المندثرة في مزبلة التاريخ[40]، إنه يقول بتعَرض القرآن للتحريف والتغيير أثناء عملية تدوينه في المصاحف، واستمع إلى أنموذجٍ من تخرّصاته حيث يقول[41]: (أُنبهُ القارئَ إلى أهميةِ البُعدِ الألسنيِ واللغوي للكتابات المقدسةِ، فلم يَعُدْ يكفي التلويح بنسخةِ القرآن كما يفعلون اليوم، فهذه النسخة المدعوّة بالمصحف هي عبارة عن نص مكتوب، ولم تَعُدْ كلاماً شفهياً حُرّاً كما كانت عليه في البداية، وهذا ما يغيرّ من شروطِ فهم كلام الله وتفسيره؛ لأن عمليةَ الانتقالِ من مرحلةِ النص الشفهي إلى مرحلة النص المكتوب تصحب حكماً بضياع جزءٍ من المعنى)[42].

وفي سبيل تحقيق نظريته هذه يدعي وجود نوعين من النص القرآني في العهد النبوي وفي العصر الحالي مختلفان تماما فيقول: (ويمكنني أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام ولا حتى بالمقدس الذي كان سائدا أيام النبي)[43].

الرد والمناقشة:

يخطئ أركون مجددا في قياسه الفاسد مع الفارق ما بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، فمن المقرر أن جمع القرآن الكريم مر بثلاث مراحل بينة في وضح النهار لا تخفى إلا على حاقد أو طاعن[44]، ومن كان عنده مزعة عقل لا ينكر ما لا ينكر علميا وواقعيا. بيد أن الكتاب المقدس بعهديه مر بمراحل ظلامية وبلغ التحريف فيه أوجه، حتى تجلى كتبا متعارضة ومتناقضة بين طوائف أهل الكتاب، لكل طائفة كتبها التي تعترف بها وتنكر سواها، فاستلزم حالها تطبيق مناهج النقد الحديثة عليها كالمنهج التاريخي والفيلولوجي وغيرها من المناهج النقدية، فتمخضت هذه الدراسات عن وضع نظريات تشير إلى مصدر الكتاب المقدس وتاريخ تدوينه واللغة الأصلية التي دون بها والتي أقرها علماؤهم ونقادهم، من أمثال (يوليوس فلهاوزن) الذي يعد مؤسس علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث[45]. لا أعلم هل نسي أركون أم تناسى أن القرآن الموجود في المصحف المكتوب في السطور هو نفسه القرآن المحفوظ في الصدور، وأن عملية تدوين القرآن منذ العهد النبوي توافقت زمنيا مع حفظه شفهيا في الصدور، وكان تدوينه تحت إشراف النبي ε وضمن لجنة من الصحابة هم كتاب الوحي[46].

فلا يوجد كتاب على وجه البسيطة نال من العناية والحفظ ما ناله القرآن العظيم، وخير شاهد على ذلك تاريخ تدوين المصحف، والمنهجية الدقيقة التي اتبعت في الجمع على عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان -رضي الله عنهما-، وإجماع الصحابة عليه، وحسبنا قول الله Y: **[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]**[الحجر: 9]. ومن هنا تبطل دعوته في اعتبار القرآن الكريم نصا تاريخيا تراثيا كأي نص من التاريخ ينبغي تفكيكه باعتباره نص من التراث.

ثم إن الناظر في قضية جمع القرآن الكريم وملابساته يتبين له مقدار الخطأ الجسيم الذي وقع به أركون في انسياقه ولهوثه وراء التقليد الغربي للمستشرقين في نزع القداسة عن كل مقدس وموثوق، حتى وإن كان كلام الله Y. لقد كان أركون في شبهة جمع القرآن عالة على أساتذته من المستشرقين فقد زعم أستاذه المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير) من قبل أن جمع القرآن حدث فيه أخطاء كثيرة، وأطلق على عملية الجمع تنقيحا[47].

ويبدو التقليد للمستشرقين واضحاً جلياً عند أركون في كتابته ومؤلفاته، فجُلّ مؤلفاته ناهضةٌ على النظريات الغربية والأفكار الاستشراقية، علاوةً على المصطلحات الغربية والغريبة عن البيئة المسلمة والتي ضاقت بها مؤلفاته. ويبدو هذا من خلال كلامه: (لقد خُضتُ المعركةَ منذ ثلاثين سنة في السوربون، وطالبتُ بنقلِ المنهجياتِ الحديثةِ وتطبيقها على التراثِ العربيِ الإسلامي مثلما تُطبّق بكل نجاحٍ على التراث الأوروبي والمجتمعاتِ الأوروبية) [48].

<u>ثالثاً: منهجه التشكيكي في التراث التفسيري للقرآن الكريم، ودعوته لسيادة العلوم العقلية على العلوم النقلية.</u>

– يعلن أركون خروجه عن تراث السلف من المفسرين ومقرراتهم في تفسير كلام الله، وفي سبيل ذلك نجده يثني على كل محاولة للخروج عن هذا الفهم ويعده حداثة وتطورا، فنلاحظ مثلا اهتمامه البالغ بالحكاية الأسطورية التي ينسبها للقصص القرآني، والتي يثني فيها ابتداءً على الأستاذ خلف الله في (الفن القصصي في القرآن)[49]، إلاّ أن هذه الدراسة لم تُشبع نَهَم أركون المتعطّش إلى إلصاق نظريات الحكاية الأسطورية في القرآن[50].

– ثم يعلن صراحةً عن إنكاره للتراث التفسيري ودعوته إلى العلوم العقلية وسيادتها فيقول: (لكننا نفتقدُ إلى أيّ نقدٍ حقيقي للعقل الديني، ينبغي أن يتمثّل في استخدام كل مصادر المعقولية والتفكير التي تقدّمها لنا علوم الإنسان والمجتمع، من أجل زحزحة إشكالية الوحي من النظام الفكري... إلى فضاءات التحليل والتأويل التي يفتتحها الآن العقل الاستطلاعيّ الجديد المنبثق حديثاً)[51].

الرد والمناقشة:

لقد تعرّض أركون للنص القرآني وخاض غماره وردّ تفاسير العلماء القدماء، وأثار شبهاتٍ وشكوكاً، ووقع في مغالطاتٍ[52] ما كان له أن يقع بها لو أنه كان متسلحاً بالعلوم الضرورية لفهم كتاب الله، غير أنّ جهله بهذه العلوم، وغطرسته وانبهاره بمنجزات الغرب وحداثتهم، أوقعته في مستنقع عزّ الخروج منه.

وخيرُ دليل على ضـعف الرجل في اللغة العربية أنّ معظم مؤلفاته باللغة الفرنسـية ترجمها هاشـم صـالح إلى العربية، ويُرجع ذلك إلى انشغاله بمتابعة التيارات الحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولأنه يستخدم مصطلحات يصعب عليه أن يجد لها مكافئاً في اللغة العربية، فأنّى لرجلٍ أفنى حياتَهُ في ملاحقةِ المذاهبِ الإنسـانيةِ والمبادئِ الفلسـفيةِ الغربيةِ الملحدةِ أن يتعرضَ لكتابِ الله بالتأويل، وهو بعيدٌ كُلّ البُعد عن لغتِهِ ووحيهِ وظلالِهِ، ثم تراهُ يحكّمُ عقلهُ المجردَ في النصـوصِ فيُلغي هذا، وينكرُ هذا، ويُلبسُ قصـصـهُ ثوبَ الأسـطورةِ والخرافةِ، ويُلقي على تشـريعاته وأحكامه ظلّ البيئة والظروف، وينسِبُ لبراهينهِ واستدلالاتهِ المجازَ والاستعارة، فهلّا شبّ على لغة القرآن وتلقى العلم في ربوعه حتى يخبر هذا، فأنّى لابن السوربون أن يتذوق جماليات اللغة العربية وبلاغة الأسلوب القرآني وفصاحته.

الخاتمة والنتائج.

ونَحُطُّ الرِحالَ هنا لنؤكد على مجموعةٍ من **النتائج** التي تمّ التوصلُ إليها في هذه الدراسة وخلص إليها الباحث وهي:

1. عدمُ المواءمةِ بين المعنى اللغوي والاصـطلاحي للحداثةِ، فالمعنى اللغوي يدل على التجديدِ والتطويرِ ومخالفةِ القديم، إلّا أن هذه المخالفة قد تكونُ فيما يعودُ على الأمةِ بالنفعِ فيُحمد عُقباها، وقد تكون فيما يعود عليها بالوبالِ وهذا ما كانت عليه حداثتنا المعاصـرة، إذ إنها مذهبٌ فكري يحمل أصـوله من الغربِ، يدعو إلى الثورةِ على الثوابتِ والدينِ، لتغيير واقع الحياةِ حسب متطلبات العصر.
2. الحداثيون العرب ما هم إلّا تلامذة للمسـتشـرقين، يدورون في فلكهم، يُقدّمون دينهم قرباناً يُذبحُ على عتبةِ بابهم، يرددّون شبهاتهم ويثيرونها بأساليب خبيثةٍ، وبعباراتٍ برّاقةٍ تخدعُ البسطاء والسُذج.
3. أقوالُ الحداثيين قديمةٌ قِدَمَ الإنسـان والتاريخ، قالها المشـركون قبلهم، فوصـفوا القرآن بأنه أسـاطيرُ الأولين، اكتتبها محمد -عليه الصـلاة والسـلام- وتبعهم المشككون في كل زمان، فكان من رموزهم ابن عربي والحلّاج وابن رشد، وقُل لي مَن تخالل أقَل لك من أنت.
4. فريتُهم الكبرى زعمهم المصدر البشري للقرآن الكريم وتأثّره بالبيئة التي ظهر فيها، وهذا قولٌ مردودٌ مرجوح، لا يقولُ به إلّا مَن فقد عقله أو قلبه، وهو واهٍ لدرجة تجعل من العبثِ الالتفات إليه والرّد عليه، وأنّى لدعواهم هذه أن تنهض وقد تحدّى اللهُ به الثقلين، فهلّا كان بمقدور هؤلاء مشابهته أو معارضته فضلاً عن الطعنِ فيه.
5. لقد فقد الحداثيون الأهليةَ للخوضِ في النصـوص الشـرعيةِ لعدم تحصـيلهم العلوم والأدوات الضـرورية، لتكون استنتاجاتهم مبينة على أصولٍ متينة، فالخلل المنهجي تسبب عنه زلل في النتائج.
6. إنّ من أسبابِ فشل الحداثيين أنهم أسقطوا على النص القرآني والمفاهيم الإسلامية كالوحي والدين والآخرة، كل ما ظفروا به من الأفكار والنظريات الغربية، البعيدة عن روح وتعاليم الإسلام. إنّ مقاصد المستشرقين بادية ودوافعهم الصليبية حاضرة، فأنّى لأبناء المسلمين هؤلاءِ أن يجعلوا أنفسهم جُنداً للشيطانِ ويمتطوا ركبه!

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

التوصيات:

1. نشر الوعي بين الناس، والتحذير من الأفكار الهدّامة والفِرق الضالة، التي تصّوب سهامها نحو الدين ومقدساتهِ بهدف زعزعة المسلمين عن دينهم وذلك من خلال، تكثيف النشرات والمحاضرات التوعوية، وخاصة بين فئات الشباب المستهدفة، ونشر الإسلام الصحيح وتثقيف المسلمين بدينهم.
2. يجب على العلماء التصدي لأمثال هؤلاء من أصحاب الدعوات الحداثية، بكشف زيف أفكارهم، وتحذير المسلمين منهم، فعلى الرغم من وجود المؤلفاتِ الكثيرةِ التي ردّت على الحداثيين ونقضت صرحهم، إلّا أنّ خطرهم فادحٌ على الناشئة، حيثُ تُحشد لهم الحشود، وتُفتح لهم الآفاق على صفحاتِ المجلات العلمية وشاشات المحطات الفضائية، وتطبع لهم الكتب، ويُنصّبون المناصب، وتُغدق عليهم الأموالَ كلّ هذا: " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (الصف: 8).
3. أوصي الباحثين بتكثيف جهودهم البحثية وتركيزها لمتابعة نتائج الحداثيين ونقضِ عُراهم، طاعةً لله ونصراً لدينه، وإظهاراً لكلمته.

الهوامش.

(1) أحمد بن حنبل، (ت 241ه) : **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، تتمة مسند جابر بن عبد الله τ، ج23، ص234، رقم الحديث (14984)، (ط1)، 1419ه- 1998م.

(2) مسلم بن حجاج (ت 261ه) : **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الحج: باب فضل المدينة ودعاء النبي ε فيها بالبركة، ج2، ص994، رقم الحديث (1370) .

(3) محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256)، **صحيح البخاري**، دار طوق النجاة، كتاب التفسير باب (وإذ يرفع إبراهيم القواعد)، ج6، ص20، رقم الحديث (4484)، ط1، (1422ه) .

(4) محمد بن مكرم بن منظور(ت711هـ)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، باب فصل الحاء المهملة، ط3، (1414ه)، ج2، ص131.

(5) منير البعلبكي، **المورد-قاموس انجليزي عربي**، بيروت، دار العلم للملايين، (1986م)، ص586.

(6) أندريه لالاند، (**موسوعة لالاند الفلسفية**)، بيروت، عويدات للنشر، تحقيق وتعريف: خليل أحمد خليل، ط2، (2001م)، ج2، ص822 .

(7) مانع الجهني (ت 1423ه)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط3، 1418هـ، ص877-883.

(8) ينظر: عدنان علي رضا النحوي (ت 2015 م)، **الحداثة في منظور إيماني**، الرياض، دار النحوي، ط3، (1410ه- 1989م)، ص22 . وينظر: محمد القرني، **موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام**، ص47. وينظر: عوض بن محمد القرني، **الفكر الحداثي في ميزان الإسلام**، هجر للطباعة، ط1، (1408ه-1988م)، ص67 .

(9) محمد قطب (ت 2014م)، **مذاهب فكرية معاصرة**، القاهرة، دار الشروق، ط9، (1422هـ-2001م)، ص445 .

(10) مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ص689.

(11) مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة**، ص708-716.

(12) ينظر: عبد الوهاب المسيري (ت 2008م)، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج2، ص279.

(13) ينظر: عمار التميمي، **التواصل الحضاري**، ص20. وينظر: عدنان النحوي، **الحداثة من منظور إيماني**، ص25. وينظر: عوض القرني، **الحداثة في ميزان الإسلام**، ص17. الوجودية: اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرّده وأنه صاحب تفكير وحرية ولا يحتاج إلى موجه، وتعتبر جملة من الاتجاهات المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم. السريالية: هي مذهب أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، وزعم أن هناك واقع أقوى فاعلية هو واقع اللاوعي، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية وتستمد مضامينها من الأحلام والخواطر والهواجس. ينظر: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، **موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة**، موقع الدرر السنية على الانترنت، (ج1، ص453)، (ج2، ص99) . www.dorar.net.

(14) ينظر: عدنان النحوي، **الحداثة في منظور إيماني**، ص33.

(15) ينظر: أحمد محمد جاد، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص533-711.

(16) محمد القرني، **موقف الفكر الحداثي العربي**، ص239.

(17) ينظر: مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة**، ص 881.

(18) عمار التميمي، **التواصل الحضاري**، ص94-100، 101-103، وينظر: عبد المجيد الشرفي، **الإسلام والحداثة**، ص14.

(19) مانع الجهني، الموسوعة **الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ص877-883.

(20) المرجع السابق.

(21) ينظر: عوض القرني، **الحداثة في ميزان الإسلام**، ص68، 83.

(22) ينظر: محمد عابد الجابري (ت 2010م)، **التراث والحداثة**، ص23. وينظر: الجابري، بنية العقل العربي، ص13. وينظر: محمد أبو القاسم حاج (ت 2004م)، **جدلية الغيب، الإنسان والطبيعة (العالمية الاسلامية الثانية)**، ص651.

(23) ينظر: عمار التميمي، **التواصل الحضاري**، ص:76،102،107.

(24) لقد سبقت الإشارة في هذا البحث إلى شروط المفسر وضوابط النظر في تأويل كلام الله تعالى، ص19.

(25) ينظر: يوسف أحمد البدوي، **ضوابط أصولية في تدبر القرآن**، بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد الخامس عشر، 1434ه-2013م، ص25.

(26) ولعل أهم هذه المناهج الغربية الاستشراقية المتبعة عند الحداثيين العرب المنهج الفيلولوجي والمنهج التاريخي، القائمان على اعتبار القرآن الكريم نصا تراثيا قديما ينبغي تطبيق المنهج التاريخي والفيلولوجي اللغوي لمعرفة مدى تأثير البيئة والتطور اللغوي في بنيانه وتكوينه، وذلك في محاولة إسقاطية لهذه المناهج على دراسة النص القرآني كما طبقت تماما على نصوص العهدين القديم والجديد. ينظر: سناء الغزاوي ومحمد الحوري، **علم نقد الكتاب المقدس وأثره في الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم**، بحث منشور في المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية، جامعة آل البيت، الأردن، المجلد 14- العدد 4- صفر 1440هـ/ تشرين ثاني 2018م، ص75.

(27) ينظر: محمد القرني، **موقف الفكر الحداثي العربي**، ص332.

(28) ينظر: عمار التميمي، **التواصل الحضري**، ص76.

(29) ينظر: محمد أركون (ت 2010م)، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الإنماء القومي، ص125، ط2، (1996م) .

(30) عبد المجيد الشرفي (ت 2008م)، **الإسلام والحداثة**، ص90.

(31) محمد أركون: **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط2، (2005م)، ص96.

(32) للتعرف على أثر منهج نقد الكتاب المقدس في منهج أركون القائل بتاريخية النص ينظر كتاب (الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم) محمد بن سعيد السرحاني، ص42.

(33) عبد المجيد الشرفي، **الإسلام والحداثة**، ص89.

(34) محمد أركون: **الفكر الإسلامي**، ص202-205.

(35) محمد أركون: **تاريخية الفكر الإسلامي العربي**، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط2، (1996م)، ص290.

(36) هذا الرازي (ت 606) مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكاءه يشكو حيرته وعجزه فيقول:

نـهـايـة اقـدام الـعـقـول عـقـال وغـاية سـعي العالمين ضـلال
وارواحنا في وحشـة من جسـومنا وحـاصـل دنيـانـا اذى ووبـال
ولم نسـتفد من بحثنا طول عمرنا سـوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

مجموعة من المؤلفين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الفصل الرابع، المطلب السابع والعشرون، موقع الدرر السنية على الانترنت، 394/1،

(37) ينظر محمد أركون، **تاريخية الفكر العربي الاسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الانماء القومي، ط2، 1996.

(38) محمد اركون، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، ط2، 2002م، ص29.

(39) لقد تغنّى المستشرقون والحداثيون بشبهة تأثر القرآن بالبيئة التي نشأ فيها، وليس هذا بالبدعة من القول، فقد نادى به شيوخهم من قبل، ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني(ت1367ه)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسـى الحلبي، ط3، ص263-291.

(40) محمد أركون: **قضايا في نقد العقل الديني**، ص262.

(41) محمد أركون، **تاريخية الفكر العربي**، ص28، وقضـايا في نقد العقل الديني، ص145. ويقول أيضـا: (إنّ الانتقال من مرحلة الخطاب الشـفهي إلى مرحلة المدونة النصّـية الرسـمية المغلقة (المصـحف) لم يتم إلّا بعد حصـول الكثير من عمليات الحذف والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائما في مثل هذه الحالات) . ينظر: اركون، **قضايا في نقد العقل الديني**، (ص187-188).

(42) محمد أركون، **تاريخية الفكر العربي**، ص194، ينظر أيضاً: أبو القاسم حاج كيف يصف ابن عربي بالشيخ الأكبر، ويصف المفسرين بالغفلة، ينظر: حاج حمد: محمد أبو القاسم حاج حمد، **جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**، بيروت، دار الهادي، ط1، (1425ه-2004م)، ص639.

(43) مجلة مواقف، دار الساقي، عدد 60/59، ط1، 1989م، ص20.

(44) ينظر الرد على هذه الشبهة: سناء الغزاوي، **تاريخ القرآن الكريم عند المستشرقين دراسة تأصيلية نقدية**، أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة اليرموك، (1439هـ- 2018م)، ص67.

(45) ينظر: محمد خليفه حسن، **مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم**، القاهرة، (1417هـ 1996م)، ص10.

(46) ينظر: رد موريس بوكاي (1998م) على هذه الشبهة في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ-1990م، ص157- 159.

(47) ينظر: الرد على هذه الشـبهة عند: عمر رضـوان في كتابه، آراء المسـتشـرقين حول القرآن الكريم وتفسـيره دراسـة ونقد، الرياض، دار طيبة، (435/1) .

(48) يقول عبد المجيد الشـرفي، في الإسـلام والحداثة، ص87: (اسـتخدم الحداثيون المنهج الذي حاول نولدكه تطبيقه على النص القرآني، فها هو خلف الله في الفن القصـصـي يعتمد منهج لانسـون الأدبي في تعامله مع النص القرآني. فينفي عن قصـصـه القداسة وينسب إليها الخرافات وموافقة البيئة، وتأثير شخصية النبي عليه الصلاة والسلام وغيرها من الأفكار).

(49) ينظر: محمد أركون في: **العلمنة والدين**، ص19، 29. **والفكر الإسـلامي**، ص177. **وقضـايا في نقد العقل الديني**، بيروت، دار الطليعة، ص29،87،186.

(50) ينظر الرد على محمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم في دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية واسطورية القصـة القرآنية: عبد المحسـن بن زبن بن متعب المطيري، الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشـر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم، موقع الموسوعة الشاملة على الانترنت، www.islamport.com.

(51) محمد أركون: **العلمنة والدين**، بيروت، دار السامتي، ط2، (1996م)، ص31.

(52) محمد أركون، العلمنة **والدين**، ص28، فجاء بنصـــوص كثيرة صـــرّح فيها بوقوع التبديل في القرآن، وما كان هذا منه، الّا صدىً يتردد لأصوات الناعقين القدماء، فكان الطعن في القرآن من الخدمات الجليلةِ التي قدّمها للمستشرقين.